

مسألة الدين والدولة في الفكر اليهودي الحريدي والصهيوني المعاصر
-الائتلافات السياسية للحركات الدينية المعاصرة-

*The issue of religion and state in contemporary Haredi and Zionist Jewish thought
-The political coalitions of religious movements-*

إيهاب زين الدين قتال¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

Ihabbarika52@gmail.com

أ.د. يوسف العايب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

Laib_34@hotmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/18 القبول 2023/07/12 النشر على الخط 2023/09/15
Received 18/04/2023 Accepted 12/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تم في هذا المقال دراسة إشكالية الدين والدولة في الفكر الديني اليهودي الحريدي والصهيوني المعاصر، ودور الأحزاب الدينية في المشهد السياسي والاجتماعي في إسرائيل، ومدى فاعليتها في التأثير على القوانين التي تخدم الجانب الديني للمجتمع الإسرائيلي، وتبرز أهميته في تتبع تطور الحركات الدينية وعلاقتها بالسياسة في دولة الكيان قبل وبعد قيامها، لنصل في الأخير إلى أن الحركة الصهيونية وظفت النصوص الدينية لتكسب الشرعية من أجل إقامة دولة في فلسطين، وبعد إقامة الدولة لعبت الأحزاب الدينية دورا هاما في الائتلافات الحكومية وتشريع القوانين بما يخدم مصالح المجتمع المتدين.

الكلمات المفتاحية: الدين، الدولة، إسرائيل، الحركة الصهيونية، أحزاب دينية.

Abstract:

In this Article we have discussed the Issue of religion and state in the Zionist and Haredi Jewish contemporary thought, and the role of religious parties on the social political scene in Israel, and its effectiveness in influencing on the laws that serve the religious aspect. Finally we concluded that the Zionist movement used the religious texts to gain legitimacy in order to establish the Jewish state in Palestine, then after achieving this goal, the religious parties played an important role in government coalitions and legislation serving the religious community.

Keywords: religion, state, Israel, Zionist movement, religious parties.

البريد الإلكتروني: Ihabbarika52@gmail.com

¹ المؤلف المراسل: إيهاب زين الدين قتال

1. مقدمة:

شكلت الجماعات اليهودية في العصور الوسطى وحتى أواخر القرن التاسع عشر أقليات دينية في المجتمعات التي كانوا بينها خاصة في أوروبا، وشكلوا ما عرف بالجيتو اليهودي، ومع تبني الدول الأوروبية نظام العلمانية باعتباره فصل للسلطة السياسية والاقتصادية عن السلطة الدينية، وسيرها في إطار الدولة المدنية، ظهرت المسألة اليهودية بشكل أكبر باعتبار اليهود جماعات دينية مغلقة نوعاً ما.

وهذا ما جعل هذه الجماعات تعيد النظر في المسائل الدينية التي تناقش علاقتهم بالآخر فظهرت حركات التنوير والإصلاح اليهودي، والحركة الأرثوذكسية كحركة مضادة للإصلاح، ثم ظهور الحركة اليهودية المحافظة وذلك لبحث حل وسط للمسألة اليهودية. ومع ظهور الحركة الصهيونية فيما بعد بهدف إقامة وطن قومي لليهود، ومع رفض التراث اليهودي العودة إلى أرض الميعاد دون عودة المسيا، واجهت الحركة الصهيونية معارضة شديدة من داخل السلطة الحاخامية ضد قيام دولة اليهود، مما جعلها تبحث عن الشرعية الدينية لها داخل نصوص التوراة والتلمود.

وبعد إعلان قيام دولة كيان إسرائيل في عام 1948 وبعد حرب 1967 خاصة، تغيرت نظرة الحركات الدينية المعارضة للدولة وأصبحت أقل حدة وبدأت في المشاركة في الانتخابات والعمل على إقامة الائتلافات الحزبية والظفر بالمناصب في الكنيست والعمل على سن القوانين بما يخدم التوجه الديني اليهودي داخل دولة إسرائيل.

إشكالية البحث:

تتم دراسة مسألة الدين والدولة في الفكر اليهودي الحريدي والصهيوني المعاصر وفق الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى ساهمت العلاقة بين الدين والدولة في تشكيل السياسة الإسرائيلية داخلياً؟
- ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية هي:
- ماهو تأثير الأحزاب الدينية الحريدية والصهيونية في الحياة السياسية والاجتماعية في إسرائيل؟
- ماهو دور الأحزاب الدينية في الائتلافات السياسية في إسرائيل؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

- معرفة نشاط الحركات السياسية الدينية في الوقت الحاضر
- التعريف بالحركات الدينية ونشاطها السياسي من قبل نشأة دولة الكيان في فلسطين

منهج البحث:

إن التعامل مع هذا الموضوع يستدعي منا اعتماد المنهج التحليلي من خلال دراسة وتحليل طبيعة العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل، وكذلك من خلال عرض وتحليل نتائج انتخابات الكنيست والائتلافات السياسية للأحزاب الدينية في الفترة الممتدة من سنة 1977 إلى سنة 2022.

2. الانتقال من الفكر التقليدي إلى الفكر العلماني المتحرر:

شكل الواقع الاقتصادي والسياسي في أوروبا عموماً العامل الأساسي في تحول بعض الجماعات اليهودية في أوروبا الشرقية التي تمثل الأغلبية من اليهود خاصة من الشباب إلى حركة التنوير، ما جعل الحاخامات من الحركات التقليدية الأرثوذكسية يقفون موقف عداء منها واعتبار أن كل من ينخرط في هذه الحركات التنويرية ومنها الحركة الصهيونية، هو خروج فعلي عن الدين والتقاليد اليهودية¹.

ومن الأسباب المهمة كذلك في تحول هذه الجماعات وخروجها عن التقاليد الدينية اليهودية هو الدعم المادي للمعاهد الدينية "اليشيفا" "Yechiva" من طرف الجماعات اليهودية في المجتمع الغربي، التي تنتمي إلى التيار غير التقليدي، مما جعل الفكر التنويري يسيطر على الساحة الدينية.

وفي ظل هذا التحول وجدت الحركة الصهيونية الدعم الجماهيري من الجماعات اليهودية الشرقية خاصة، لأنهم رأوا فيها الحل لمعاناتهم من الاضطهاد الكبير الذي تعرضوا له في روسيا وأوروبا الشرقية، وساهمت منظمة أحباء صهيون بعد تأسيسها سنة 1884 في تشجيع المهجرات إلى فلسطين وإنشاء القرى والمزارع، وتمت هجرة أكثر من 25000 يهودي من روسيا بين عامي 1882 و1903 وعمل معظمهم في حراثة الأرض تحت الدعم المادي لعائلة روتشيلد التي شجعت لسنوات عديدة الهجرة والعمل في الأراضي التي تمتلكها العائلة في فلسطين².

وقد عبر "Vladimir Dubnow" وهو أحد أعضاء "حركة بيلو"³ على أن العودة إلى فلسطين إنما تكون أولاً بالعمل في مجال الحرف وزراعة الأرض³، وهو ما وفره بالفعل رجال المال، ومن هنا وجدت الجماعات اليهودية الشرقية في أعضاء الحركة التنويرية الملاذ المادي لهم مما جعلهم نواة جماهيرية تعتمد عليها الحركة الصهيونية في الترويج لفكرتها بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وتشجيع المهجرات إليها، بالرغم من رفض المؤسسة الحاخامية الأرثوذكسية لهذا الأمر.

ووجدت الحركة الصهيونية في هذا تحدياً لإيجاد التبرير الديني من داخل نصوص التناخ لإيجاد الحل لمسألة الدين والدولة فتم تأسيس الجناح الديني للحركة في سنة 1902م باسم حركة مزراحي "مركز روحي" تحت شعار "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل" ولخص الشعار في عبارة "توراه وعفوداه" أي "التوراة والعمل" ومعناه أن على الصهيوني الحق المتدين أن يتعلم الشريعة اليهودية وأن يعمل بنشاط من أجل إعادة بناء إسرائيل، وكان تأسيس الحركة الدينية رداً على البرنامج التربوي المقترح في

¹ Menachem Friedman, the state of Israël as a theological dilemma, offprint from: Baruch Kimmerling, the Israeli state and society, state university of New York press, 1989, p168.

² Martin Gilbert, Israel a history, William Morrow and company, new york, 1998, 1st us edition, p5

³ نفس المرجع، ص6

* حركة بيلو: هي منظمة شبابية تأسست عام 1882 في أوكرانيا ضمن الإمبراطورية الروسية سابقاً، إذ يعود اسمها إلى الحروف الأولى من كلمات وردت في سفر اشعيا (2/5) (بيت يعقوب لحو فانليخا)، وهي "يا بيت يعقوب هلمّ فنسلك في نور الرب" (انظر: <https://alassas.net/3477/>)

المؤتمر الخامس سنة 1901، الذي يقوم على تعليم اليهود روح القومية (الإثنية) اليهودية بالمعنى العلماني الذي حدده آحاد هاعام ودعاة العلمانية الصهيونية¹.

3. الدين والدولة في فكر الحركة الصهيونية:

في البداية لم يكن لقادة الحركة الصهيونية أي اهتمام بالدين، فقد أظهروا عداً واضحاً للتقاليد الدينية اليهودية لأنها تمثل بالنسبة لهم مجرد تراث أدبي أو كتاب فلكلور شعبي، فنجد مثلاً أن ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية عند قيامه بزيارة القدس عمد إلى انتهاك الشعائر الدينية اليهودية ليؤكد نظرتة اللادينية وتميزه عن العقيدة اليهودية، ونجد كذلك الزعيم الصهيوني الألماني ماكس نورداو أحد أصدقاء هرتزل يعلن إحداه صراحة وقد كتب " إن التوراة كعمل أدبي أدنى مستوى من أعمال هوميروس والكلاسيكيات الأوروبية، وأنها طفولية كفلسفة ومقرزة كنظام أخلاقي"². ولكن مع كل هذا فإنه تم توظيف المقولات الدينية فيما بعد لإضفاء الشرعية على المشروع السياسي:

1.3 أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل:

في كتابه الدولة اليهودية قال هرتزل أن فكرة إقامة دولة اليهود هي فكرة بالغة القدم وأنه يقوم فقط بإحيائها³ وذلك من أجل إيجاد حل للمسألة اليهودية، باعتبار أن هذه الدولة نتيجة حتمية لما يعانيه اليهود من إضطهاد في المجتمعات التي يعيشون بينها. وهو نفس الموقف الذي عبر عنه بن غوريون في الرسالة التي أرسلها إلى "يتسحاك طبنكين" عام 1937 عندما اعتبر أن الجيء إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية إنما هي استمرار لليهود الأوائل⁴. فأرض إسرائيل "فلسطين" هي أرض مقدسة ومرتبطة بالشعب اليهودي المقدس -حسبهم-، مهما طال زمن الشتات أو مهما عمرها جنس آخر من غير اليهود، ووظف الصهاينة هذا الأمر لاستعطاف الجماعات اليهودية المختلفة. وكما قال بيغن لأعضاء كيبوتس عين هارود: " لو كانت هذه هي فلسطين وليست إسرائيل، إذن فأنتم غزاة ولستم مزارعين يفلحون الأرض. إذا كانت هذه هي فلسطين فهي إذن تنتمي للشعب الذي عاش هنا قبل أن تأتوا إليها، لن يكون لكم حق العيش هنا إلا إذا كانت هذه أرض إسرائيل"⁵

وتم استخدام الشعار الصهيوني " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" للتعبير على قدسية الشعب وارتباطه بالأرض المقدسة، وتطور هذا الشعار من قول اللورد شافتسبري في منتصف القرن التاسع عشر " الأرض القديمة للشعب القديم" ثم تطور إلى الصيغة

¹ المسيري، مرجع سابق، ج6، ص285.

² صالح محمد النعامي، في قبضة الحاخامات، دار البيان، دط، 2013، ص53

³ ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، تر: محمد فاضل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007، ص40

⁴ أحمد أشقر، وجه المرطقة المخفي في شخصية دافيد بن غوريون، مقال موقع مبادين، تاريخ الزيارة 22-07-2022-14:15

<https://www.almayadeen.net/articles/blog/688036/>

⁵ المسيري، عبد الوهاب، من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002، ص10

الأخرى، ويعتبره المسيحي مجرد شعار سوقي ساذج أفرزته النظرة الغربية القائمة على الإمبريالية، التي علمت الرؤى الإنجيلية فتحوّلت من رؤيا أخروية تأتي بمشيئة الإله إلى رؤيا مادية تتحقّق الآن وبقوة السلاح.¹

وركز هرتزل في شرحه لمفهوم الشعب اليهودي على التأكيد على القومية لا الهوية، لأن القومية اليهودية -حسبه- هي قومية مميزة تبلورت عبر السنين ولا يمكن تدميرها²، وهذا التمييز يأتي كون الشعب اليهودي هو شعب مقدس لحلّول الإله فيه، ففي سفر الخروج " أنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة"³ وهو ما يسميه المسيحي بالرؤية الحلولية الكمونية، فالإله ليس مفارقاً للشعب أو متعالياً عليه، ولا متجاوزاً له، بل هو كامن فيه.⁴

لذلك نجد تركيز قادة الحركة الصهيونية على توظيف مسألة شعب الله المختار والتمييز العرقي لليهود على الشعوب الأخرى، باستغلال الشعارات والنصوص الدينية التي لا يؤمنون بها من البداية، على الرغم من وجود جماعات يهودية أميركية وروسية وبولندية وألمانية وغيرها، وكل منها يتميز على الآخر تبعاً للظروف التاريخية والجغرافية التي تطورت فيها كل جماعة عن الأخرى، وفي الموسوعة اليهودية نجد تعريف الهوية اليهودية كما يلي " جماعة يؤلف التاريخ والقدر بينها، ومازال أفرادها يشعرون بانتمائهم إلى هذه الجماعة، وهي تعني أيضاً أفراداً يشعر الآخرون إزاءهم شعوراً قوياً بأنهم ينتمون إلى اليهودية"⁵.

والذي ينظر إلى هذا التعريف يلاحظ كمية اللامنتق والمغالطات التي يتحوّلها، ولو رجعنا إلى مفهوم العرق وما يميز جماعة عن أخرى هو فعلاً "الاشتراك في السمات الظاهرية"⁶ فلا يمكن بأي حال أن يتم تعريف هوية شعب ما بناءً على نظرة الآخرين إليها، ولكن الصهاينة ركزوا على مفهوم اليهود كشعب وأمة وعنصر وجنس، فهم عنصر واحد وجنس واحد ولكن مختلفون فقط في القيم الثقافية والحضارية.⁷

إذاً اتم استغلال هذا المفهوم الديني اليهودي لتحريك نوع من العاطفة للجماعات اليهودية المضطهدة اجتماعياً من جهة، والتي كانت تحت حكم الحاخامات من جهة أخرى، وهم الذين عارضوا الصهيونية في البداية باعتبارها خطيئة تتعلق بتعجيل الخلاص قبل مجيء المسيح، على المستوى الديني، ولما رأوا فيها من تهديد لمصالحهم، على المستوى الاجتماعي وحتى الاقتصادي، ولكن نلاحظ فيما بعد رضوخهم للأمر الواقع ومساهمتهم في دعم الصهيونية لِمَا لعبه قادة الحركة في استمالتهم والعمل على نقل السلطة الحاخامية إلى قلب إسرائيل كما سنرى فيما بعد.

¹ المسيحي، الموسوعة، مرجع سابق، ج 6 ص 21

² هرتزل، مرجع سابق، ص 50

³ خروج 19:6

⁴ المسيحي، الموسوعة، مرجع سابق، ج 5 ص 51

⁵ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 59

⁶ Anemone Robert, Race and Human Diversity: A biocultural Approach, Upper saddle river, Prentice hall, p1-10

⁷ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 66

2.3 مسألة الخلاص اليهودي

يمثل الخلاص اليهودي أهم عقيدة عند اليهود لأنها تمثل بالنسبة لهم نهاية معاناتهم في الشتات، فهم يرددون في عيد الفصح في كل عام عبارة "نلتقي العام القادم في اورشليم" وهي التي حولتها الصهيونية من مفهوم ديني إلى مفهوم سياسي¹. ويشير اسم الصهيونية تحت مفهوم التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، وإلى الأرض المقدسة ككل، كما يشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم "بنت صهيون" والعودة إلى صهيون تشكل فكرة محورية في النسق الديني اليهودي²، وهي كذلك أحد المسوغات الدينية التي استخدمها قادة الحركة الصهيونية في استمالة الجماعات اليهودية التي تحن إلى العودة إلى أرض الميعاد، بعد الشتات والتشريد الذي حدث منذ هدم الهيكل الثاني في 70م.

فبالرجوع إلى التناخ، الذي قال عنه بن غوريون رئيس أول حكومة لدولة الكيان أنه شكل بالنسبة إليه شهادة ولادة وساعد في هدم الفاصل بين الإنسان والأرض وربى الشعور بالوطن³، نجد النصوص التي تتحدث عن العودة إلى أرض الميعاد، ففي سفر زكريا " هكذا قال يهوه: " أرجع إلى صهيون وأسكن في وسط اورشليم، فتدعى اورشليم مدينة الحق، وجبل يهوه الجنود الجبل المقدس"⁴ وكذلك في الوعد الإلهي لإبراهيم في سفر التكوين " و اجتاز أبرام في الأرض إلى موضع شكيم قرب الأشجار الكبيرة في مورة وإن الكنعانيون حينئذ في الأرض فظهر يهوه لأبرام و قال: لنسلك أعطي هذه الأرض..."⁵.

وهنا بالنظر إلى النصوص الدينية التي تعبر عن العودة إلى أرض الميعاد ولما يحمله المشروع الصهيوني من هذا الأمل في العودة إلا أن المخاضات عارضوا هذا المشروع أشد معارضة، ولكن الأستاذ محمد عمارة وهو باحث في الصراع العربي الإسرائيلي اعتبر أن معارضة هؤلاء للفكرة الصهيونية في بادئ الأمر إنما كان من باب الثقة السياسية، وهو ما يفسر تأييدهم المطلق لها فيما بعد⁶. ولا شك أن الاستناد إلى نصوص دينية ذات مصداقية تم نقضها بالفعل من طرف نقاد التناخ ابتداء من القرن السابع عشر مع سبينوزا وإلى فلهاوزن في القرن العشرين⁷، واستغلالها فقط لتبرير العدوان الصهيوني العالمي على شعب فلسطين يبين لنا النظرة العنصرية المادية للمجتمع الغربي القائم على الإمبريالية والتعدي على حقوق الغير.

¹ غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، دط، دت، عمان، ص14

² المسيري، من هو اليهودي، مرجع سابق، ص14

³ أحمد أشقر، مقال إلكتروني على النت، مرجع سابق.

⁴ سفر زكريا 3:8

⁵ تكوين 12 : 6-7

⁶ محمد جرادات، مقال: الدين أداة في نشأة إسرائيل وحروبها، موقع ميادين، تاريخ الزيارة: 2022-07-21 20:30

<https://www.almayadeen.net/articles/>الدين-أداة-في-نشأة-إسرائيل-وحروبها

⁷ كتب ريتشارد فريدمان في كتابه من كتب التوراة: " يصعب اليوم العثور في العالم على باحث للعهد القديم يشتغل في هذه الموضوعات، يقول إن أسفار التوراة قد كتبها موسى أو مؤلف واحد أيا كان، بل يناقش الدارسون إشكاليات عديدة حول عدد المؤلفين الذين كتبوا هذا السفر أو ذاك، ويبحثون الزمن الذي تم فيه تدوين المصادر المختلفة ويهتمون بمسألة إلى أي مصدر تنتمي هذه الفقرة أو غيرها؟ " ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة، تر: عمرو زكريا، دار البيان، ط1، 2003.

ومن ناحية أخرى يقول الأستاذ صالح النعامي: " إن مجرد اتفاق المتدينين اليهود والعلمانيين الصهاينة على نموذج "التاريخ اليهودي المقدس" يدل على النظرة الاختزالية للتاريخ الذي تحول حسب اليهود إلى اللاعب الرئيس والأوحد في التاريخ الإنساني، حيث افترضوا أن التاريخ يتجه نحو نقطة ثابتة ومستقرة، مع تحييد كل الأحداث التاريخية الأخرى التي أثرت في تاريخ أرض فلسطين بكل تأكيد"¹.

4. تطور موقف الأحزاب الدينية من الحركة الصهيونية من النشأة إلى ما بعد حرب 67:

عارضت التيارات الدينية اليهودية منذ منتصف القرن الثامن عشر إقامة وطن قومي للجماعات اليهودية لعدة اعتبارات أهمها كان بسبب ديني وهو انتظار المسيا للخلاص، واعتبار الرؤية الصهيونية تعجيلا بالخلاص بطريق مادي، وأن الصهيونية مجرد حركة مسيانية كاذبة، ولكن نلاحظ أن موقف المعارضة تغير مع الزمن نظرا للأحداث التاريخية والظروف السياسية التي عاشها العالم منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، منها الاضطهاد العام الذي تعرضت له الجماعات اليهودية في روسيا وأوروبا، وتدمير للمراكز الدينية وانتقالها إلى فلسطين والولايات المتحدة الأمريكية، فتغير موقف هذه الحركات الدينية من المعارضة إلى التعايش ثم المشاركة في السياسة وتشكيل الحكومات، وإقامة التحالفات مع الأحزاب اليمينية المتطرفة.

هذا التحالف جاء من قبيل اعتبار إسرائيل واقعا تاريخيا وهو منفي حتى ولو كانت أرض الميعاد هي مكان الإقامة، كما يقول الربّي أليعازر مناحيم أن الشعب اليهودي مازال في المنفى حتى مجيء المخلص، بل حتى ولو كان الشعب في إسرائيل، لأن هذا الواقع لا هو خلاص ولا حتى مقدمة لمجيء الخلاص.²

ولكن النجاح المتواصل الذي حققته الحركة الصهيونية، ثم وعد بلفور سنة 1917، وتعزيز مدارس "اليشيفا" في إسرائيل، وهجرة ملايين اليهود إليها، وفي النهاية قيام دولة إسرائيل سنة 1948، كل هذا لعب دورا هاما في تناقص حدة المعارضة والتحول التدريجي في موقف اليهودية التقليدية من الحركة الصهيونية.³

انتظمت المعارضة الدينية تحت حزب أغودات إسرائيل الذي تأسس سنة 1912 لتوحيد تيارات المعارضة الدينية للحركة الصهيونية، ولكن مع إقامة وعد بلفور في ماي 1917، اعتبر نقطة التحول التاريخية في موقف الحركات الدينية، بحيث تم تفسيره على أنه نوع من أنواع العناية الإلهية ومع الإنجازات التي حققها الاستيطان في فلسطين في الثلاثينات، ظهر موقف في الأوساط الدينية يدعو إلى تأييد إقامة دولة إسرائيل من أجل التفاعل مع السياسة الإسرائيلية وعدم البقاء على الهامش.⁴

¹ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 57

² Aviezer Ravitsky, Exile in the holy land, chapter on book on messianism and Zionism, Tel Aviv 1988, p89

انظر كذلك: مناحيم فريدمان، مرجع سابق، ص 167

³ رافيتسكي، مرجع سابق، ص 94

⁴ عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون، دراسة في تناقض الديمقراطية اليهودية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2005، ص 63

فأغودات إسرائيل ترفض رفضاً قاطعاً كل محاولة لنزع القداسة عن أرض إسرائيل وأن اقتراح إقامة دولة يهودية علمانية في فلسطين هو تهديد للمهمة السامية للشعب اليهودي كأمة موحدة¹. وهنا بين الرفض والرغبة في المشاركة في الحياة السياسية أبقى الحزب على الحلول الوسط خارج الإطار العلني، ففي المحادثات الفردية بين أعضاء الحزب اتفق معظم أفراد المجلس على أن أغودات إسرائيل لا ينبغي أن تعارض الدولة اليهودية علناً، لأن هذا سيشكل خطراً على المستوى الفردي والجماعي لذلك من الأفضل تفادي القضية. وفي نقاشات اللجنة التنفيذية لأغودات إسرائيل في 20 يناير 1946 لخص الحاخام "إسحاق ليفين" المشكلة في أنه لا يوجد ضمانات فيما يتعلق بالشؤون الدينية، فدولة يهودية في فلسطين لا تتفق مع التوراة هي تدينس لله في إسرائيل وخطر على الديانة اليهودية ومع ذلك فإنه لا يمكن دعمها لأنها دولة علمانية كما لا يمكن معارضتها².

وقبيل قيام دولة إسرائيل سارع أعضاء أغودات إسرائيل إلى مقابلة "بن غوريون" وعرضوا عليه وضعيتهم ومطالبهم بإقامة دولة دينية تحترم: قوانين الزواج ورفض الزواج المدني، السبت، قوانين تتعلق بالغذاء، الاستقلال في التعليم الديني وعدم إلزامية التعليم العلماني، مع حرية العبادة وتنظيم الجماعات الحريدية في مجتمعات سكنية خاصة في عزلة عن الجماعات العلمانية، وعدم الإجماع على التعليم العلماني، فأغودات إسرائيل كانت تحشى ألا يتمكن اليهود الأرثوذكس من العيش في الدولة اليهودية، وهنا كان رد "بن غوريون" على مطالب أغودات إسرائيل دون أي ضمانات ولم يتعهد إلا بجزية العبادات وطلب من أغودات إسرائيل اقتراح حل من شأنه تمكين تشغيل خدمات السكك الحديدية والبريد والخدمة المدنية، لأن اعتماد يوم السبت يوم راحة حسب تعاليم التوراة فيه عدة صعوبات، ولذلك لم يتضمن رد "بن غوريون" أي التزام على الإطلاق³.

وهنا يتضح لنا جلياً نية قادة الحركة الصهيونية، فالدولة اليهودية هي دولة قومية لا دينية، ولذلك لا نجد أي التزام تجاه التعاليم الدينية من طرف القادة، وما الشعارات الدينية في بداية تأسيس الحركة إلا لكسب التأييد الشعبي.

وبعد إعلان مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، ارتفعت الأصوات داخل أغودات إسرائيل مفسرة هذا القرار بأنه من مظاهر العناية الإلهية⁴ وهنا يقول الأستاذ عزمي بشارة أن ردة الفعل هذه كانت لشعور الحزب بالعزلة التامة في السياسة الإسرائيلية في تلك الفترة، وأراد أن يؤمن مصالحة بالوجود في مراكز صنع القرار السياسي، واعتبر الحاخام "ليني" وزير الشؤون الخارجية آنذاك أنه لو قام مجلس التوراة واليهودية الأرثوذكسية بصورة عامة بالتدخل في هذه القضايا منذ بدايتها لما كانوا أقلية ولاختلفت الأمور عما هي عليه⁵.

ثم بدأ الموقف يتغير من المعارضة إلى القبول من حيث الاعتراف الواقعي برفض الأساس الأيديولوجي والتعامل مع مؤسساتها، فتمت المشاركة في المجلس المؤقت وفي العملية السياسية ومع هذا استمرت الحركة في رفضها للصهيونية بالمصطلح الديني، وهنا نلاحظ مدى

¹ مناحيم فريدمان، مرجع سابق، ص 183

² مناحيم فريدمان، مرجع سابق، ص 184

³ نفس المرجع. 186

⁴ المسيري، الموسوعة، مرجع سابق، ج 6 ص 286

انظر كذلك: عزمي بشارة، مرجع سابق، ص 63

⁵ نفس المرجع، ص 64

التناقض في موقف الأحزاب الدينية بشأن معارضة سياسات الحركة الصهيونية، ويمكن إرجاع هذا التناقض إلى إمكانية اختراق صفوف هذه الأحزاب من طرف الحركة الصهيونية. ولكن تبرير قيادة الحزب لمشاركتها في الحكومة المؤقتة كان انطلاقاً من موقف ضعف، موقف الأقلية المضطرة إلى الانضمام إلى الحكومة لتأمين مصالحها، ولكن فيما بعد استبدل منطق الضعف بمنطق القوة، منطق السلطة والتأثير لا لتأمينه الحريات الدينية وإنما من أجل فرض الشرائع الدينية، ومن أجل تأمين المصادر المالية للمؤسسات الدينية من مدارس وجمعيات وغيرها¹.

أما نقطة التحول في نشاط الحركات الدينية في السياسة الإسرائيلية كان الانتصار في حرب 67 لأن الجناح الديني لم يكن ذا أهمية تذكر في البداية، ولكن بسبب الانتصار "المعجزة" تأكد البعد الشيولوجي الميتافيزيقي للدولة بالنسبة إلى المتدينين اليهود²، ثم إن الجناح الديني للصهيونية الذي كان ممثلاً في حركة مزراحي ثم حزب المفدال والذي كان محاربا من قبل الأوساط الدينية الحريدية من جهة، ومن قبل العلمانيين الصهاينة المعادين للدين اليهودي من جهة أخرى، قام هذا الحزب بعد الحرب بالتحول فعلاً إلى حركة استيطانية في الضفة الغربية مدفوعاً بالرؤية المسيانية بأن الانتصار في الحرب كان خطوة كبيرة بالفعل في طريق الخلاص³.

فالحزب يؤمن بالحق التاريخي لليهود في فلسطين وبمفهوم أرض إسرائيل الكاملة، لذلك فالاستيطان في كامل فلسطين أمر شرعي⁴، ومن هنا حرص التيار الديني على التأثير في سلم الأولويات في إسرائيل بما يتناسب مع قناعاته الدينية ومنطلقاته الفكرية⁵. وهنا ننوه إلى أمر مهم في مسألة الصراع الديني - العلماني في إسرائيل، فهناك أحزاب دينية تؤمن بالصهيونية وتعمل على تحقيق مصالحها وفق نظام الدولة، وهناك أحزاب دينية لا تعترف بالصهيونية ولكنها ارتضت بالدولة وهي الأحزاب الدينية الحريدية، فهي تعمل على تغيير نظام الدولة وفق النظرة الدينية، وفي كلتا الحالتين الهدف واحد، نظام قائم تحكمه النظرة الدينية التوراتية.

5. دور الأحزاب الدينية في الائتلافات الحاكمة:

أطلق على الفترة الممتدة من 1948 إلى 1977 عهد الحزب المسيطر، وهو حزب العمل العلماني⁶، الذي ظل يحصل على أغلبية المقاعد في الكنيست وتشكيل الحكومات مع تحالفات أحزاب اليسار ويسار الوسط، وظلت الأحزاب الدينية الحريدية خارج الحكومات التي تشكلت لأن مطالب التيار الحريدي تكون دائماً متشددة في ما يخص العلاقة بين الدين والدولة، ولذلك حرص حزب العمل في هذه الفترة على ضم حزب "المفدال" الذي يمثل المتدينين الصهاينة فقط إلى حكوماته، مع أنه كان بالإمكان تشكيل الحكومات بدون الاستعانة بهذا الحزب.

¹ المسيري، الموسوعة، مرجع سابق، ج6 ص287

² عزمي بشارة، مرجع سابق، ص71

³ مارتن جيلبرت، مرجع سابق، ص406

⁴ ماضي عبد الفتاح، الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999، ص251

⁵ صالح النعامي، مرجع سابق، ص299

⁶ متولي عبد الحميد، نظام الحكم في إسرائيل، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 2002، ص148

ولكن كان هناك توافق كبير بين الحزبين بسبب كون المتدينين الصهاينة قبلوا منذ البداية الفكرة الصهيونية ولم يتشددوا فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الدين والدولة¹، مثلاً نجد النسبة تتراوح بين 60 و69% من جملة الأصوات التي حصلت عليها الأحزاب الدينية في الفترة ما بين 1948 و1981 كانت من نصيب الأحزاب الدينية الصهيونية "المزراحي ثم المفدال"، في حين نسبة الأصوات التي ذهبت إلى الأحزاب الدينية الحريدية فإنها تتراوح بين 32 و40%²، دون أي مشاركة في الحكومات التي توالى على الحكم منذ 1948.

في انتخابات 1977 حدث تغير في موازين القوى في الصراع الحزبي الإسرائيلي، عندما تحصل حزب الليكود اليميني على عدد مقاعد بنسبة أكبر من التي تحصل عليها حزب العمل، فتطلب تشكيل حزب الليكود للحكومة تحالفاً مع الأحزاب الدينية الصهيونية والحريدية معاً، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن ظلت الأحزاب الدينية تلعب دوراً هاماً في تشكيل الحكومات، ولم يكن بالإمكان تشكيل حكومة بدون ضم الأحزاب الدينية إلا خلال حكومتى شمعون بيريز (1984 – 1988) وحكومة إسحاق رابين (1992 – 1996).³

وشهد عام 1984 ميلاد حزب شاس الحريدي الشرقي الذي تحصل على 4 مقاعد فقط سنة 1984⁴، ثم عزز من قوته الانتخابية الصاعدة حتى صار الحزب الثالث بعد العمل والليكود في انتخابات 1996، حيث تحصل شاس على 10 مقاعد بنسبة 43,4% إلى عدد المقاعد الدينية الإجمالية بنسبة 8,3% من إجمالي المقاعد في الكنيست، ونلاحظ تزايد في نسبة عدد المقاعد التي تحصلت الأحزاب الدينية الحريدية من 4,1% من إجمالي المقاعد سنة 1973 إلى 11,6% سنة 1996، فيما بقيت نسبة المقاعد المتحصل عليها من طرف الأحزاب الدينية الصهيونية ثابتة نسبياً فمثلاً من نسبة 8,3% سنة 1973 إلى 7,5% سنة 1996.

وفي الجمل شكلت الأحزاب الدينية مجتمعة القوة الثالثة في إسرائيل منذ عام 1977، وشهد عام 1996 تصاعداً مهماً للأحزاب الدينية بنسبة 19,6% من جملة المقاعد في الكنيست بما يضمن التأثير في القرارات السياسية، وهبوط القوة البرلمانية لحزب العمل والليكود بـ 10 مقاعد⁵.

نتقل الآن إلى الحديث عن دور هذه الأحزاب الدينية في الحياة السياسية والاجتماعية ومواقفها إزاء المسائل التي تتصل بالعلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل.

¹ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 301

² ماضي عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 309

³ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 302

⁴ ماضي عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 308

⁵ موقع الكنيست <https://main.knesset.gov.il/EN/About/History/Pages/KnessetHistory.aspx?kns=14> تاريخ الزيارة:

الزيارة: 2022/09/20 التوقيت: 21:23

6. دور الأحزاب الدينية في الحياة السياسية:

تمثل سنوات ما بعد 1977 و1981 ميلاد حزب شاس الحريدي الشرقي، سنوات الضغط من أجل جني أكبر قدر ممكن من الأرباح فيما يتعلق بالقوانين والتمويلات للمؤسسات والجمعيات الدينية، وفيما يخص العلاقة بين الدين والدولة، فنجد أن الاتفاق الائتلافي بين حزب الليكود والأحزاب الدينية في حكومة بيغن 1977-1981 تضمن البنود التالية:

- الالتزام بتمرير قانون ينص على أن المحكمة الدينية هي المخول الوحيد للبت في طلبات التهوديد، مع الالتزام بضمان حصول مشروع هذا القانون على أغلبية في الكنيست.
- الالتزام بسن قانون يلزم النقل العام في الدولة بالتوقف عن العمل تماما قبل حلول يوم السبت والاعياد اليهودية.
- تلتزم الحكومة بمساواة ظروف دعم الدولة لتيار التعليم الديني المستقل بظروف التعليم الرسمي دون المساس باستقلالية التيار المستقل.¹

وفي ائتلاف حكومة شامير عام 1988-1992 نجد:

- معاقبة أصحاب العمل الذين يجبرون عمالهم على العمل أيام السبت.
- تشكيل لجنة لمنع الإجهاض بوصفه مخالفا للشريعة اليهودية.
- تشكيل لجنة خاصة من ممثلي الأحزاب المشاركة في الائتلاف الحاكم للاتفاق على توزيع "الأموال الخاصة"، وهي الأموال التي تخصص للمؤسسات غير الحكومية والتي يذهب معظمها إلى المؤسسات الاجتماعية والدينية التابعة للأحزاب الدينية.²
- وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الأموال الخاصة" هو بند اشتملت عليه هذه الإتفاقية، وهو عبارة عن دعم مباشر من ميزانية الدولة للمؤسسات غير الحكومية التابعة للأحزاب الدينية، واستمر العمل به حتى 1992 عندما أمرت محكمة العدل العليا بإلغائه نتيجة تحقيق من مراقب الدولة، ولكن بالرغم من هذا وجدت طرق بديلة لتلقي التمويل.³

وتضمن اتفاق ائتلاف 1996-1999 ما يلي:

- كل مشروع تبادر الحكومة لسنه في الكنيست يجب أن يحظى بقبول الأحزاب الدينية.
- لا تعترف الدولة بيهودية الذين تهودوا حديثا إلا إذا تم ذلك تحت إشراف الحاخامية الكبرى.
- تلتزم الحكومة بزيادة الموارد المخصصة لتمويل الخدمات الدينية ودعم المؤسسات التوراتية والتعليم الديني.

وفي ائتلاف 2006-2009 جاء ما يلي:

- تلتزم الحكومة بعدم السماح بالمس بنمط الحياة في المناطق التي يعيش فيها المتدينون.
- تلتزم الحكومة بعدم السماح بسن أي قانون يمس بالقيم الدينية وبالتفاهات التي تم التوصل إليها في الماضي.
- تلتزم الحكومة بسداد الديون المتراكمة على المجالس الدينية.¹

¹ صالح النعامي، مرجع سابق، ص304

² صالح النعامي، مرجع سابق، ص305

³ خطيب إيناس، تأثير الأحزاب الدينية والحريدية على المشهد السياسي في إسرائيل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، حيفا، 2015، ص13

من الواضح من خلال هذه البنود أن الأحزاب الدينية لعبت دوراً مركزياً في تغيير الأوضاع على غير ما كانت عليه قبل وعند قيام الدولة، وازدادت المطالب والضمانات قوة مع كل ائتلاف جديد، فضمنت الأحزاب الدينية التمويل الحكومي للمؤسسات غير الحكومية المستقلة والمدارس الدينية على الرغم من عدم وجود أي سلطة لوزارة التعليم أو وزارة الأديان عليها. وإجمالاً يمكننا القول أن الأحزاب الدينية استطاعت أن تحقق أرباحاً اقتصادية ومعنوية عالية للفئات الاجتماعية التي تمثلها، مما ساهم في تحول المنظومات الحزبية والسياسية في إسرائيل والتعادل الانتخابي في مجال القوى التشريعية بين أحزاب اليسار واليمين والأحزاب الدينية.

ثم بدأ تراجع الأحزاب الدينية بدءاً من سنة 2009 عندما رفضت رئاسة حزب "كديما" تسيبي ليفني تشكيل حكومة جديدة بسبب المطالب التي اعتبرتها ابتزازية من الأحزاب الدينية² وبعد انتخابات 2013 أوكل نتنياهو بتشكيل الحكومة وهو رئيس حزب الليكود، فتخلص في هذه الدورة عن الائتلاف مع الأحزاب الدينية بهدف ترويض تأثيرها على المشهد السياسي والاجتماعي في إسرائيل، وبدأ العمل على تعديل القوانين التي تمس الميزانية المخصصة للمدارس الدينية التي يرفض طلابها الالتحاق بالخدمة العسكرية، وأن تعاد المدارس الدينية المستقلة إلى سلطة وزارة الخدمات الدينية³.

والسؤال هنا: هل هذا فعلاً تراجع للأحزاب الدينية ونقص تأثيرها بالمقارنة مع سنوات الثمانينات والتسعينات؟ أم أنها مجرد مرحلة عابرة؟

بالنظر إلى نتائج انتخابات الكنيست الـ 20 سنة 2015 نلاحظ تراجع كبير في عدد مقاعد الأحزاب الدينية، ولكننا تعود إلى المشهد بضمن كونه الكتلة الثالثة الكنيست سنة 2021 بـ 9 مقاعد بعد "الليكود" و"يش عتيد" الذي عين رئيسه "يائير لبيد" رئيساً للوزراء في سنة 2022 وأوكل إليه تشكيل الحكومة⁴.

وتبقى بهذا الأحزاب الدينية في صراع دائم من أجل ضمان مصالحها الدينية في إسرائيل ومصالح من تمثلهم من المجتمع، وأن تبقى ذات تأثير على الشأن السياسي في إسرائيل.

7. خاتمة

في نهاية هذا البحث نلخص إلى مجموعة من النتائج:

- وظفت الحركة الصهيونية في بداية تأسيسها النصوص الدينية لكسب الشرعية وتحصيل الدعم الجماهيري من الجماعات اليهودية.
- شكلت الجماعات اليهودية في أوروبا الشرقية النواة الأولى للهجرات اليهودية إلى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل.

¹ صالح النعامي، مرجع سابق، ص 305

² خطيب إيناس، مرجع سابق، ص 13

³ خطيب إيناس، مرجع سابق، ص 13

⁴ موقع الكنيست، <https://main.knesset.gov.il/EN/About/History/Pages/KnessetHistory.aspx?kns=24> تاريخ الزيارة: 2022/09/23 التوقيت: 15:45

- تم توظيف مسألة أرض الميعاد والخلاص اليهودي كحجة لعودة اليهود إلى فلسطين واحتلالها.
- لعبت الأحزاب الدينية دورا هاما في تشكيل السياسة الداخلية لدولة إسرائيل.
- شكلت حرب 67 نقطة تحول في طبيعة العلاقة بين الأحزاب الدينية والأحزاب العلمانية.
- شكلت سنة 1977 نقطة تحول في مسار الأحزاب الدينية داخل الكنيست وبداية تشكل الائتلافات الحزبية من أجل تشكيل الحكومات.
- شهدت سنوات التسعينات قوة كبيرة للأحزاب الدينية في الكنيست.
- عرفت الأحزاب الدينية تراجعاً في السنوات الأخيرة داخل الكنيست بسبب قوة أحزاب اليسار ويسار الوسط.

8. قائمة المراجع

1. الكتاب المقدس، ترجمة العالم الجديد، نيويورك، 2004.
2. بشارة عزمي، من يهودية الدولة حتى شارون، دراسة في تناقض الديمقراطية اليهودية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2005.
3. السعدي غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان.
4. فريدمان ريتشارد، من كتب التوراة، تر: عمرو زكريا، دار البيان، ط1، 2003.
5. ماضي عبد الفتاح، الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999.
6. متولي عبد الحميد، نظام الحكم في إسرائيل، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 2002.
7. المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1999.
8. المسيري، عبد الوهاب، من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002.
9. النعامي صالح محمد، في قبضة الحاخامات، دار البيان، دط، 2013.
10. هرتزل ثيودور، الدولة اليهودية، تر: محمد فاضل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007.

باللغة الإنجليزية:

1. Anemone Robert, Race and Human Diversity: A biocultural Approach, Upper saddle river, Prentice hall.
2. Aviezer Ravitsky, Exile in the holy land, chapter on book on messianism and Zionism, Tel Aviv 1988.
3. Martin Gilbert, Israel a history, William Morrow and company, New York, 1st us edition, 1998.
4. Menachem Friedman, the state of Israël as a theological dilemma, offprint from: Baruch Kimmerling, the Israeli state and society, state university of New York press, 1989.

المقالات:

1. خطيب إيناس، تأثير الأحزاب الدينية والحريدية على المشهد السياسي في إسرائيل، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية، حيفا، 2015.

المقالات في المواقع الالكترونية:

1. أشقر أحمد، وجه الهرطقة المخفي في شخصية دافيد بن غوريون، مقال موقع ميادين، تاريخ الزيارة 22-07-2022
<https://www.almayadeen.net/articles/blog/688036/> 14:15
2. جرادات محمد، مقال: الدين أداة في نشأة إسرائيل وحروبها، موقع ميادين، تاريخ الزيارة: 21-07-2022 20:30
<https://www.almayadeen.net/articles/>لدين-أداة-في-نشأة-إسرائيل-وحروبها
3. موقع الكنيست <https://main.knesset.gov.il/en/Pages/default.aspx>